



بسم الله الرحمن الرحيم



دورة

"بين الفقه والشريعة"

يحاضر فيها الأستاذ الدكتور

**محمد كمال الدين إمام**

أستاذ ورئيس قسم الشريعة - كلية الحقوق - جامعة الإسكندرية

في الفترة من

١/٨/١٤٣٢هـ - ٢٧/٨/١٤٣٢هـ

الموافق

٢/٧/٢٠١١م - ٢٨/٧/٢٠١١م

بقاعة رواق المعرفة - مركز الدراسات المعرفية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
المحاضرة السادسة: النسخ في القرآن الكريم  
السبت ١٦ شعبان ١٤٣٢هـ  
الموافق ١٧-٧-٢٠١١

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد،  
في المحاضرة الماضية كان من أهم العناصر التي تحدثنا عنها عن  
القرآن الكريم باعتباره مصدرًا من مصادر التشريع بل هو المصدر  
الأول من مصادر التشريع الإسلامي وهذا بنص القرآن وبنص رسول الله  
ﷺ "تركت فيكم ما إن تضلوا بعدي أبدًا ما تمسكتم بهما: كتاب الله  
وسنتي"<sup>(1)</sup> إذن الكتاب وهو القرآن توفقنا أمام خصائصه وأمام تعريفه  
وبقي لنا أن نتحدث عن موضوعات مهمة أولاً: دلالة القرآن على  
الأحكام، والأمر الثاني: إعجاز القرآن، والأمر الثالث: النسخ في القرآن،  
وهي قضايا سال من أجلها مدادٌ كثير كما يقولون وهناك عدد كبير من  
الدارسين توفقوا أمام إعجاز القرآن قديماً وحديثاً من بينهم حتى الأستاذ  
الدكتور رفعت العوضي حيث تحدث عن إعجاز القرآن التشريعي في  
مجال الميراث ومجال الاقتصاد ومجالات أخرى كثيرة. إذن هو موضوع  
من الموضوعات الهامة في أسلمة المعرفة موضوع الإعجاز التشريعي  
في القرآن الكريم.

### دلالة القرآن على الأحكام

دلالة القرآن على الأحكام هذا من الموضوعات التي قد تكون بحاجة  
إلى إيضاح نحن نعلم كما تكلمنا عن القرآن الكريم بأنه كله قطعي الثبوت

---

(1) فاصح ما ورد في هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه صلى  
الله عليه وسلم أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع يوم عرفة  
(تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تَسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ  
قَائِلُونَ). قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى  
السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدِ».  
وورد هذا المعنى بألفاظ أخرى صريحة منها لفظ «إِنِّي قَدْ خَلَفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا  
بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي وَلَنْ تَفْرَقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ  
الْحَوْضَ». والتي صححها الشيخ الألباني في صحيح الجامع .

لأنه منقولٌ إلينا بالتواتر فلا مجال لإضافة حرفٍ أو حذف كلمة فالنقل بالثبوت يعني قطعية النص القرآني ولذلك جعلناه من خصائص النص القرآني أنه قطعي الثبوت، لكن آيات القرآن الكريم ودلالة القرآن الكريم على الآيات ليست قطعية الدلالة فكلها قطعية الثبوت ولكنها ليست كلها قطعية الدلالة فمنها ما هو قطعي الدلالة ومنها ما هو ظنيّ الدلالة، ولعلني قلت كقاعدة عامة كل ما ورد في آيات التشريع من خلال الأعداد فهو قطعيّ الدلالة، والأعداد منها أعداد لا تتعلق بالتشريع في القرآن الكريم وفيها أعداد ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ لكن نحن نتحدث عن الآيات المتعلقة بالأحكام كل ما جاء فيها من أعداد قطعي في دلالاته لأننا لو لم نجعل العدد قطعي لوقعنا في مشكلة من ناحية البناء الرياضي والبناء الفكري بصفة عامة فحينما نقول أن واحد زائد واحد لا تساوي اثنان أو حينما نقول أن المئة تساوي تسعة وتسعون أو تساوي مئة وواحد وقعنا في مشكلة انهيار النسق الرياضي والبناء الحسابي ولذلك هذه الأمور يسمونها البداهة العلمية أي أن جزء من البديهية العلمية أنه لا بد أن نحافظ على قطعية هذه الأرقام لأنه بدونها يتهاوى البناء الرياضي.

في القرآن الكريم أرقام تتعلق بآيات الأحكام سواء في آيات الحدود أو في الآيات الخاصة بالمواريث في تقسيم المواريث ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ على سبيل المثال إذن النصف أو الربع أو مئة جلدة وهكذا نجد كل هذه الأرقام التي تتعلق بالحدود من ناحية وتتعلق بالآيات الخاصة بالمواريث من ناحية أخرى كلها قطعية الدلالة.

والمتأمل في الآيات التي تأتي قطعية الدلالة بأنها تتجسد دائماً فيما نسميه عنصر الثبات في الأحكام فالأحكام التي ينبغي أن تكون ثابتة ومستمرة ومستقرة ولذلك لا يسمح القرآن الكريم ولا الإسلام كدين أن يأتي شخص فيفكر في آيات المواريث كما حدث وأشرنا في محاضرة ماضية ويقول إن هذه الآيات كانت تعبر عن أوضاع وعلاقات اجتماعية قائمة في عصر الرسول ﷺ وفي عصر الصحابة وأن موازين العلاقات

الأسرية قد اختلفت ولم تعد المرأة داخل البيت وإنما هي داخل البيت وخارجه وأيضاً لم يعد الرجل هو الذي ينفق فقط وإنما أصبحت المرأة تشاركه في الإنفاق وبالتالي نستطيع أن نعمل المصلحة في تغيير بعض الأحكام الواردة عن طريق القرآن الكريم، وهذه غفلة إن لم تكن عن قصد ونية مُجرمة -إن جاز التعبير- فهي عن غفلة من أصحابها لأنهم لا يفرقون بين أمرين بين عنصر الإلزام في القاعدة الشرعية وإمكانية التطوع في تحمل التكاليف المالية في الناحية الشرعية فهناك عنصر الإلزام وهناك إمكانية التطوع في تحمل التكاليف الشرعية وهناك أيضاً أن القاعدة الشرعية هي قاعدة عامة كأي قاعدة قانونية هي قاعدة عامة ومجردة وبالتالي لا ينبغي أن نتصور أنه من الممكن أن تتعرض لإمكانية رفض جزء وقبول جزء، أو أن تتغير مع تغير المصالح لأن المصالح تابعة للنص القطعي وليس النص القطعي هو الذي يتبع المصالح لأن الكلمة التي قيلت في كثير من الكتابات الثقافية المعاصرة "حيثما توجد المصلحة فثم شرع الله" هذا وجه من وجوه العملة الشرعية في هذا الموضوع وإنما أيضاً وحيثما يوجد شرع الله توجد المصلحة إذن لا خيار في أن المصلحة موجودة طالما أن هناك نص فالنصوص التي نتكلم عن الصلاة والصيام والزكاة والبيوع والحدود وتحريم الربا كل هذه النصوص مصالحتها متضمنة فيها، قد يحاول الناس أن يصلوا لهذه المصالح ولكن إيمانهم يستدعي أن يؤمنوا بأن هذه الأحكام إنما هي لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد سواء عرفوا هذه المصلحة أو لم يعرفوها وبالتالي إذن نحن حينما نتكلم عن أينما توجد المصلحة فثم وجه الله حيث لا يوجد نص لأن النص إذا وجد فقد تضمن المصلحة سواء أدركناها أم لم ندركها، فليس بالضرورة أن ندرك لماذا كانت صلاة المغرب ثلاثة ركعات ليس بالضرورة أن ندرك ذلك لكن بالضرورة أن أؤمن بأن هناك مصلحة وهذه المصلحة كامنة وموجودة دون أن أصل إليها وإنما أعرفها بقلبي وبإيماني بأن الله - سبحانه وتعالى- هناك

مصلحة أخروية ومصلحة دنيوية من تنفيذ العبادة المتعلقة بالمغرب على هذا النحو من الشكل أن تكون ثلاث ركعات وهكذا في كل المقدرات الشرعية التي لا نستطيع أن نصل إلى مضمون المصالح فيها بشكل قطعي وبشكل كامل.

وتأتي بعد ذلك الكلمات القرآنية التي لها أكثر من دلالة ونسبها الدلالة الظنية في القرآن الكريم، إذن تنقسم دلالة القرآن الكريم على الأحكام إلى:

- دلالة قطعية.

- ودلالة ظنية.

### الدلالة القطعية

يطلق علماء الأصول على الدلالة القطعية فيما يتعلق بالأحكام على أنها النص لأنه لا يوجد معنى آخر غير هذا المعنى ومن هنا نشأت العبارة الشهيرة "لا اجتهاد مع نص" فلا اجتهاد مع قول الله تعالى: ﴿اجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ (النور: ٢) لا يستطيع القاضي أن يقول تسعة وتسعين ولا يستطيع القاضي أن يقول مئة وواحد ولكن يستطيع القاضي أن يجتهد في أمر آخر هو أن هذا الشخص لا ينطبق عليه هذا النص لأنه لديه حالة ضرورة، أو حالة دفاع شرعي، أو حالة إكراه، أو غياب عقل، أو شبهة عقل، كل هذه المسائل تتعلق بالمكلف وتتعلق بالواقع ولذلك لم يقل الفقهاء القدامى لا اجتهاد مع الواقع ولم يقولوا لا اجتهاد مع المكلف وكان يمكن أن يقولوا لا اجتهاد مع الواقع أو لا اجتهاد مع المكلف وإنما قالوا لا اجتهاد مع النص أي النص الذي يأتي في سياق لا يحتمل إلا معنىً وحيداً طبقاً لمعاجم اللغة ومصطلحات القرآن فإن هذا اللفظ هو النص بالمعنى القرآني الذي لا يجوز الاجتهاد في فهمه وإنما الاجتهاد في تنزيله على دنيا الناس لأن معانيه واضحة تماماً وإذا لم

تعقل معناه فأنت غير مكلف به فإذا تصورنا أن حكماً شرعياً ولو قطعي جاء دون أن أعرفه فأنا أصبح غير مكلف به لأن التكليف يتبع الفهم وإلا كان تكليفاً بما لا يطاق وهو عند أغلب الأصوليين ممنوع أو معارض لقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

إذن الدلالات القرآنية دلالة القرآن الكريم على الأحكام إما أن تكون دلالة قطعية أو دلالة ظنية والمثال الذي دائماً ما يضربه الأصوليون ويضربون غيره أيضاً هو مثال القرء في الآيات القرآنية التي تقول: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨) لأن معاجم اللغة تتضمن أكثر من معنى لكلمة "قرء" فقد يكون الحيض وقد يكون الطهر فحسب الخلاف اللغوي اختلفت أيضاً المذاهب الإسلامية وهذا الخلاف يؤثر في المدة المتعلقة "بالعدة"<sup>(١)</sup> فمدة العدة تزيد أو تنقص طبقاً هل نأخذ بأي المعنيين؟ ولذلك وجدنا خلافاً في مدة العدة فليس هناك خلاف في العدة أنا أقول دائماً أن بعض الذين يدرسون القرآن الكريم من زاوية الأحوال الشخصية يقولون العدة معللة مثلاً على سبيل المثال لبراءة الرحم وأنا ضد تعليل حكم العدة أنا آخذ برأي الظاهرية في هذا الإطار وهو رأي ابن حزم الظاهري الذي يقول أن العدة تعبدية لأننا لو عللناها ببراءة الرحم أو عللناها بغيره جاء يوم من الزمان المرأة المنزوعة

---

(١) العدة لغة: مأخوذة من العدد والإحصاء. العدة في الاصطلاح: التربص المحدود شرعاً؛ لتعرف المرأة براءة رحمها. الحكمة من العدة: للعدة حكمٌ منها: معرفة براءة الرحم. إعطاء مهلة للزوج بأن يراجع زوجته إذا كان الطلاق رجعياً.

الرحم، المرأة الآيسة<sup>(١)</sup> كل هذا فأحوال الزمان متغيرة فلو ربطناها كما كان القدامى يقولون بأنها لبراءة الرحم لوقعنا في مشكلة فالآن نحن متأكدين من براءة الرحم أو متأكدين من عدم وجود رحم أصلاً فإذن لماذا العدة؟ هذا السؤال لا يرد على التعبدية كما لا يرد على قولنا بأن صلاة العصر أربعة ولا ينبغي أن نتساءل لماذا أربعة وما علينا إلا أن ننفذها أربعة كذلك العدة طالما أن العدة في الزواج والعدة ليست مرتبطة بحقوق معينة فالزوج الذي توفي فقد انقطعت العلاقة الزوجية بينه وبين المرأة بمجرد أنه مات وخرج ومع ذلك أصبحت العدة أطول فهنا ثلاثة قروء وهناك أربعة أشهر وعشرة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) أي جعلت محددة بالحساب والأيام القمرية محددة تحديد دقيق بأربعة شهور وعشرة أيام ولم تجعل داخل إطار القراء ولا داخل إطار الواقعة التي تتعلق بالمرأة. إذن منذ البداية هناك الأحكام التي هي من هذا القبيل الأفضل أن تكون تعبدية ولا ينظر إليها على أنه من الممكن الوصول إلى معرفة يقينية بمصالح العباد فيها، وإن كان جزء اعتقادي يفترض أنني أؤمن بأنها فيها مصالح

( ) ( الآيسة - آيسة: الآيسة: مؤنث الآيس. والآيسة شرعاً: المرأة التي لم تحض في حياتها . المعجم: المعجم الوسيط.

معنى الإياس كما في القاموس، القنوط وعدم الرجاء ومثله اليأس، وقد عرفه الفقهاء (١) بأنه أن تبلغ المرأة من السن ما لا تحيض فيه مثلها. سن الإياس يروى عن أبي حنيفة أن سن الإياس يتحقق بأن تبلغ من السن ما لا تحيض فيه مثلها فإن بلغته وانقطع دمها حكم بإياسها والمماثلة تتحقق بالمشابهة في تركيب البدن والسمن والهزال. موسوعة الفقه، حرف الهمزة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر.



لأن الله -سبحانه وتعالى- غني عن العالمين وهذه التكاليف كلها إنما جاءت لمصلحةٍ دنيويةٍ أو لمصلحةٍ أُخرويةٍ.

هذه إطلالة سريعة على دلالة القرآن على الأحكام سواء في مجال الظنيات أو في مجال القطعيات.

## إعجاز القرآن

نأتي إلى النقطة الثانية وهي إعجاز القرآن ونحن قد عرفنا المعجزات كما قلنا وقلنا أنها "أمرٌ خارقٌ للعادة سالمٌ من المعارضة يتحدى به" والله -سبحانه وتعالى- كما نعلم تحدى العرب في عصر قوتهم البلاغية ونهضتهم في مجال الشعر وعلمهم الدقيق بالعربية فهم يتكلمونها طبعاً وليست قواعد فهذه فطرتهم ولذلك الرسول   ذهب إلى البادية ليأخذ اللغة العربية من أهلها صافيةً نقيةً وبالتالي إذن اللغة العربية كان لها ملوكها ولها أعلامها ولها شعبها ومع ذلك القرآن الكريم تحدى هؤلاء جميعاً بأن يأتيوا بسورة من مثله أو بآية من مثله أو بمثله فلا استطاعوا أن يأتيوا بمثله ولا بسورة من مثله ولا بآية من مثله وإذا كان أعلام البيان العربيّ وأهل العربية قد عجزوا فهذا إعجاز دائم فهذا الإعجاز موجه إلى من هم في يوم الناس هذا ومن سيأتون ممن يتكلمون اللغة العربية وهو إعجاز لا يتعلق بالمسلمين وإنما يتعلق بالذين يعرفون العربية لأن غير العالم بالعربية مثل الفارسي أو الصيني أو الهندي أو الباكستاني هذه الآيات بالنسبة له هي الإعجاز فيها أن أهل البيان العربي التي نزل بها القرآن الكريم عجزوا عن القيام به فعجزه هو ليس جزء من الإعجاز فلا عجز

الصيني ولا الباكستاني ولا الروسي لأن هؤلاء ليسوا من أهل العربية ولا من لسانها ولا من بيانها ولكن هذا الإعجاز يكشف إذا كان أهل الاختصاص وأهل البيان وأهل العربية قد عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله أو بآية من مثله فإذن من باب أولى أن يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله وهذه حسبة عقلية حتى أن بعضهم كان يحس أن هذا ليس من كلام البشر من غير المؤمنين الذين كانوا يستمعون إلى القرآن وكانوا يذهبون إلى أهلهم ويقولون إن هذا ليس بكلام البشر إن أوله لمسفر وإن أسفله لمخدق<sup>(١)</sup> والذي يصف القرآن الكريم بهذا ليس من

---

(١) ذكر الإمام البيهقي في تفسيره أن النبي في المسجد قرأ ((حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)) وكان الوليد يسمع قرأته ففطن له (أي انتبه) رسول الله وأعاد الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه فقال [[مبيديا:]]: والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاماً ما هو من كلام الأئس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمخدق وأنه يعلو وما يعلى عليه. ثم انصرف إلى منزله فقالت قريش صبأ والله الوليد، وهو ربحانة قريش والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فانطلق فقعد إلى جنب عمه الوليد حزينا فقال له الوليد مالي أراك حزينا يا ابن أخي؟ فقال: وما يمنعني أن أحزن؟ وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون أنك زينت كلام محمد وإنك تدخل على ابن أبي كبشة وابن قحافة لتتال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أنني من أكثرها مالاً وولداً؟ وهل شبع محمد وأصحابه ليكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبي جهل حتى أتى مجلس قومه فقال لهم: تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يحنق قط؟ قالوا اللهم لا، قال: تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه تكهن قط؟ قالوا اللهم لا، قال: تزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟ قالوا لا، فقالت قريش للوليد فما هو؟ فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال: ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر فذلك قول الله في سورة المدثر: "إنه فكر وقدر. فقتل كيف قدر" ((الآيات)). وقد مات الوليد بن المغيرة بعد =

المؤمنين لكن من بُلغاء العرب الذي رأى أن هذا شيء غريب عليه لم يستمع لمثله ولن يستطيع أن يأتي بمثله وعبر بفطرته على أن هذا ليس هو العربية التي يعرفها فلا هو بشعر ولا هو بنثر هو ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ \* **فِي نُوْحٍ مَحْفُوْظٍ** وبالتالي إذن هذا الإعجاز إعجازٌ باقٍ. طبعاً هذا لون من الإعجاز صورة من صور إعجاز القرآن الكريم تحدى بها الله - سبحانه وتعالى - العرب في عصر بلاغتهم ولم يستطيعوا الإتيان بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله أو بآية من مثله لكن لم يقتصر إعجاز القرآن على الإعجاز البياني أو البلاغي أو اللغوي وإنما أيضاً هناك إعجاز قرآني يتعلق بما قصه القرآن الكريم من الأمم البائدة وهو إعجاز تاريخي لأن هناك أهل العربية لا يوجد من بينهم من يعرف شيئاً عن هذه الأمم السابقة ولا عن هؤلاء الأنبياء السابقين فيأتي القرآن الكريم فيحدثهم وإذا بهم يحسون بأن هذا إعجاز لأن هذا حديث عن الماضي لا يعلمه إلا الله ثم هناك الإعجاز المستقبلي إذا جاز التعبير (المستقبلات) وهو الإعجاز الذي يتضمن غيباً لا يعرفه إلا الله وينطق به القرآن الكريم ويحدث بالفعل ونحن نعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله ﴿عَالَمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب ومع ذلك يأتي قول الله تعالى: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ (الروم: ٢-٤) وتأتي الأحداث وتتوالى وهو يقول ذلك في وقت الهزيمة فيه بادية ومجسدة وواضحة على الروم فالمنتظر مزيد من الهزائم فلو نظرنا لحالتهم الراهنة في ذلك الوقت نقول

---

=الهجرة بثلاثة أشهر عن خمس وتسعين سنة ودفن في الحجون بمكة (كذا في [ابن الأثير](#) والحلبية).

إن الهزائم تتوالى لأن الانكسار كان كبيراً ومع ذلك في هذه اللحظات التي كان الانكسار فيها كبيراً والتي كانت الهزيمة فيها واضحة وجدنا القرآن الكريم يأتي ليعبر عن عالم الغيب الذي لا يعرفه الناس ويقول لهم لا تغرنكم مثل هذه الأشياء والله - سبحانه وتعالى - يبلغكم ويقول ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ \* فِي بَعْضِ سِنِينَ﴾ وتأتي السنين البضع لتكن خمس، لتكن ثلاث، لتكن أربع ويغلب هؤلاء وهذا دليل على أن القرآن الكريم معجز.

هناك ما أطلق عليه المعاصرون الإعجاز العلمي للقرآن الكريم وكثيراً ما تحاجج الناس حول كروية الأرض ووجدوا في القرآن الكريم أن الأرض ليست منبسطة ولا مسطحة في قول الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ واستطاع أيضاً كثير من الذين يدرسون الإعجاز على المستوى الاقتصادي والمستوى الجيولوجي والمستوى الطبيعي مثل الدكتور زغول النجار والمستوى الكيميائي والمستوى الهندسي والمستوى الفلكي وجدنا أناس من علماء مثل هؤلاء ينظرون إلى القرآن الكريم من منظور علمهم ويرون آيات القرآن الكريم تتضمن إعجازاً في كل هذه العلوم لكن الشيء الغريب الذي أشرت إليه أنني أميل في موضوع الإعجاز إلى ما قاله الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه "إعجاز القرآن" وفي كتابه "معتك الأقران في إعجاز القرآن" فله أكثر من كتاب في هذا المجال ورغم أنه في عصر من عصور الجمود والتقهقر إلا أنه لمس جانباً مهماً جداً في القرآن الكريم وهو إعجازه العقلي أي أن عالم النص القرآني مفتوح على كل عقل مفتوح يستطيع كل إنسان في أي عصر أن يقرأ القرآن فيجد فيه من سنن الله الكونية ويجد فيه من معرفة بعض التفاصيل والجزئيات التي يدرك من خلالها أنه لا يوجد انفتاح في العقل

ولا فتوح في عالم العلم إلا والقرآن في القليل لا يقف ضده وإنما يفتح المجال ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ وبالتالي كل تطور يأتي في عالم بيولوجيا الإنسان وعالم الهندسة الوراثية وعالم البصمة وعالم الجينات كل هذه المسائل القرآن قد نبهنا إلى أنه لو أنكم قد تغلغلتم تغلغلاً علمياً دقيقاً في أنفسكم فستبصرون من العجائب ما لا يصل إلى حد لأن هنا القرآن يوجه إلى أن داخل الإنسان فيه من العجائب كما هو في خارج الإنسان ويأتي بعض الناس ويقولون فقد تكلم شخص عن الأجنة وقال أن الله -سبحانه وتعالى- هو الذي يعلم ما في الأرحام والآن أشعة السونار من خلالها أن نعلم هذا الجنين ذكر أو أنثى وكأن ذلك يعارض القرآن الكريم وكأن ذلك يتوقف أمام إعجازه مع أنه لو نظر نظرة طبيعية إلى النص القرآني قال: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ وكلمة ما تفيد الاستغراق كما يقول علماء اللغة ولذلك الشاعر من بلاغة الشريف الرضي حينما هجرته حبيبته أو حينما ترك مكانها قال:

### "وخلفت ما خلفت بين الجوانح"

يقول أن هذا من أمور البلاغة العربية لأنه كلمة ما هنا لم يحدد ماذا خلفت فجعل كل الدوائر تعمل فلو حسبناها على الدائرة النفسية نعم على الدائرة المادية نعم على الدائرة الحسية نعم لأن كلمة ما للاستغراق وأسأل هذا الذي يعترض ويقول إننا قد اكتشفنا ما في الأرحام فعرّفنا أنه قد يكون ذكراً أو أنثى: هل نستطيع أن نكتشف أنه شقي أو سعيد، هل نستطيع أن نكتشف متى يموت ومتى يرحل عن الدنيا، هل نستطيع أن نكتشف هل سيجهض أو سيكتمل نموه وينزل إلى دنيا الناس؟ إذن هناك أبعاد كثيرة جداً فالله سبحانه وتعالى استخدم كلمة "ما" التي هي

للاستغراق التي تعني أنه لو عرفت جانباً من جوانب هذه الحقيقة فهناك مئات الآلاف من الجوانب التي لا تستطيع إدراكها ولا معرفتها ولا ينبغي للإنسان أن يجعل عقله في مقابلة الله لسبب بسيط جداً لأن الله حسم هذه المسألة حسماً كاملاً بقوله: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ على الرغم من أنني كل يوم أدعو ربي وأقول: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ رغم هذه الزيادة التي تأتي من الله - سبحانه وتعالى - فضلاً للعباد إلا أن هذه الزيادة لن تغير من ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ هذه الزيادة رغم وجودها ورغم فضل الله على الإنسان بها إلا أنه سيظل الإنسان بهذه الزيادات في دائرة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩) البحر هنا المقصود به كل المياه التي في الكرة الأرضية وليس المقصود البحر المتوسط ولا البحر الأحمر ولا المحيط الأطلسي ولا المحيط الهادي وإنما المقصود كل المياه الموجودة على وجه الكرة الأرضية فالذي يضع نفسه في مواجهة أو في مقابلة بينه وبين الله - سبحانه وتعالى - في نهاية المطاف هو المهزوم وهو الخاسر ولم يحدث في لحظة ما في يوم ما أن إنساناً وقف هذه الوقفة إلا وهزم وقد أشرنا إلى فرعون الذي ظن أنه ملك الدنيا وما فيها بمجرد كلمة واحدة أسقطت كل براهينه وحججه وقدراته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (البقرة: ٢٥٨) ولذلك حينما نقول أن من آيات الله - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم ما لا يدركها إلا العقل في تطوره والعقل في نموه.

هناك كتاب كتبه عالم فرنسي يرسم في ضوء الأبحاث العلمية الحديثة ماذا سيحدث في الثلاثة مليارات عام القادمة من عمر الإنسان أن

الاكتشافات العلمية تؤسس لهذه الثلاثة مليارات عام ومن بينها الإنسان ووضعه في الكواكب وهل سيرتك الكرة الأرضية وهناك مشكلة ستحدث بعد مليار عام أن الشمس ستصبح غير قادرة على منح الناس الإضاءة نتيجة حركة في الكرة الأرضية فهل سيظل الناس في الظلام وهو يفعل ذلك من خلال الأرقام والاكتشافات العلمية دون أن ينظر في قول القرآن الكريم: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ (القصص: ٧١) فهو يتحدث عن القوانين العلمية التي تتحكم في الكرة الأرضية. فيأتي شخص ليقول لا ترسمها بقانون الله في ذاته إنما بقانون الكون لأن الله -سبحانه وتعالى- يغير هذه القوانين ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ لكن نحن نتكلم عن تخطيط لثلاثة مليارات وعنوان الكتاب "مغامرة نحو المستقبل" وفعلا مغامرة وأنا أقرأ المشاهد وأنا أرى المشاهد تترى<sup>(١)</sup> بمعلومات لو أن فيها عشرة بالمائة من الصحة تتغير خريطة الكرة الأرضية وتتغير خريطة العلم البشري في المستقبل وهذا يدل على أن السيوطي كان بارعًا حينما اعتبر أن الإعجاز الحقيقي الذي ليس وراءه إعجاز هو الإعجاز العقلي لأن المعجزات الحسية هي إعجاز أمام من رآها لكن الذين نقلت عنهم بعد ذلك وصلت سماعًا فلو أن أحدًا أخذها أو أحدًا لم يأخذ بها طالما أنها لم تأت بدليل يقيني كالقرآن الكريم فهو يستطيع أن يأخذ بها ويستطيع أن يردها نحن لا نستطيع أن نرد قصة أهل الكهف لأنها واردة في القرآن

---

١  
( ) تترى وتترا: (وتر) أصلها «وترى»: معناها تتابع الأشياء، مجيء الواحد بعد الآخر: «جاء القوم تترى»، المعجم: الرائد - [ابحث في المعنى].

الكريم ولا قصة السحرة لكن ممكن جدًا بعضهم يرد حديث يتعلق بأن الشجرة تكلمت مع رسول الله ﷺ يستطيع أن يرد ذلك لأنه ليس واردًا في نصي قطعي الثبوت قطعي الدلالة، لكن حينما يتكلم عن الإعجاز العقلي نتكلم عن إعجاز مفتوح وهذا الإعجاز المفتوح يدل على أن القرآن كتابٌ مفتوحٌ لكل عقل يتعقل فهناك عقل يصيبه الهوي وهناك عقل لا يستطيع أن يتعقل وإنما هو عقلٌ يكاد يكون منغلَقًا على ذاته لا يريد أن يعرف الحقيقة ولا يريد أن يسعى إليها ولا يريد أن يراها وإنما يتصور أنه هو الحقيقة مصنوعة في داخله يتلقاها كأنها إلهام وهذا عقلٌ لا يفتح على أي نص ولا على أي عقل آخر وهذا ليس هو العقل الإنساني الطبيعي هذا عقلٌ صنعه الإنسان بنفسه عندما حدد قواه وطاقاته وجعل الهوى يسيطر على أفكاره أكثر من سيطرة العقل بالمعنى الإسلامي.

### النسخ في القرآن الكريم

العنصر الأخير في القرآن الكريم هو موضوع نسخ القرآن الكريم وهذا موضوع كثر حوله في أيامنا هذه وجدنا من ينكر النسخ في القرآن الكريم ومن بينهم شيوخ عظام مثل أستاذنا العلامة محمد الغزالي يرى أن النسخ في القرآن، الشيخ عبد المتعال الجابري أحد خريجي دار العلوم وأحد قيادات التيارات الإسلامية يرى أنه لا نسخ في القرآن الكريم، وكان أستاذنا الدكتور محمد بدر وهو من أساتذة تاريخ القانون المشهورين في العالم العربي وله كتاب مخطوط لم يطبع وكان يوقفني أمام منزله بالساعات ليقنعني أنه لا نسخ في القرآن وكان أستاذي في جامعة عين



شمس وكنت لا أملك إلا أن أستمع إليه وهو يردد الحجة وراء الحجة بأنه لا يرى النسخ في القرآن الكريم.

لنتحرى النسخ أولاً تحديد مصطلحاته وضبط قواعده حتى إذا كان هناك لدينا بعض الآراء يمكن أن تكون واضحة.

### النسخ في القرآن الكريم: هو رفع حكم سابق بدليل لاحق.

ولذلك لا يسرى على الأخبار فالأخبار ليست من النسخ فإله - سبحانه وتعالى - لن يكلمنا عن قوم عاد وقوم ثمود ويخبرنا بهم ثم يصحح لنا هذه الأخبار فهذه الأخبار إله - سبحانه وتعالى - عندما يرويها فهي صدق وحق لذلك كان موقف الأزهر من كتاب "الشعر الجاهلي" لدكتور طه حسين لأنه تجاوز حده وقال ليتكلم القرآن الكريم عن إبراهيم ولكن هذا لا يعني صدقاً تاريخياً وهذا خلل لأنه إذا كان القرآن الكريم نعم هو ليس كتاب تاريخ ولكنه إذا تحدث عن حادثة تاريخية فما قاله القرآن هو الصدق وما قاله القرآن هو الحق ولا يشك أحداً فيما قاله القرآن.

تطبيق منهج الشك لديكارت على هذا هو أمرٌ بالغ الغرابة في حقيقة الأمر ويزعج ومن هنا كانت الثورة على الكتاب المعروف "الشعر الجاهلي" في سنة ١٩٢٦ من القرن الفائت لأنه لم يدرك أن القرآن بالرغم من أنه ليس كتاب تاريخ وليس كتاب فيزياء وليس كتاب كيمياء وليس كتاب أدب إلا أنه حينما تأتي هذه الأمور فيه فإنها تأتي معبرة على حقيقة إلهية وليست معبرة عن حقيقة بشرية قابلة للرد والرفض والنقد ولم يدرك ذلك ولذلك الأمر تعلق بمنطقة الإيمان وليس بمنطقة المعرفة فالفرق بين

أن يكون الأمر متعلق بالإيمان وأن يكون الأمر متعلق بمنطقة المعرفة  
فمنطقة المعرفة متسامح فيها فقد يكون الشخص جاهل فيحتاج إلى علم  
﴿اسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنما الشخص غير مؤمن محتاج  
إلى أن يُدعى إلى الإيمان فمنطقة الجهل غير منطقة الإيمان فمنطقة  
الجهل تتبع المعرفة ومنطقة الإيمان تتبع التصديق وفرق ما بين هاتين  
المنطقتين حتى في مجال العلوم الإسلامية، وجدنا على سبيل المثال أن  
القرآن الكريم حينما نتكلم فيه عن النسخ نأخذ التعريف الذي اعتمد عليه  
الأصوليون وقالوا رفع حكم سابق أي لا بد أن يكون حكم من الأحكام  
وليس قيمة من القيم وليس ركن من الأركان كما في قول الله تعالى: ﴿قُلْ  
هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ هذه ليست أمور يرد عليها نسخ إذن الدائرة التي يتحرك  
فيها ليس نسخ الآيات وإنما نسخ القرآن ولذلك الآية المنسوخة التي لا  
تزال في القرآن الكريم فهي جزء من القرآن تؤدي وظيفتها في التعبد  
بتلاوتها كوظيفة أساسية من وظائف هذا الكتاب وكما قلنا: (حديث  
مرفوع) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَلِيدٍ، ثنا أَبُو تَوْبَةَ، ثنا معاوية بن سلام، عن  
زيد بن سلام، أنه سمع أبا سلام، يقول: سمعت أبا أمامة، يقول: قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اقرأوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة  
شفيحاً لأصحابه، اقرأوا الزهراوين: سورة البقرة وسورة آل عمران،  
فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما قرنان  
من طير صوافٍ يحاجان عن صاحبهما، اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها  
بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة" (١).

(١) مسند الشاميين للطبراني.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَكَاَمٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ".<sup>(١)</sup> وإنما كل هذا القرآن كما يأتي في حديث رسول الله ﷺ، وبالتالي إذن الآية القرآنية ليست وظيفتها فقط الإخبار أو إلزام الأحكام لأنها وظيفة أصلاً في أنها صلة بين العبد وربّه وهذه الوظيفة لا تتقطع إطلاقاً حتى عن الآيات التي ارتفع حكمها لأن النسخ قد يأتي نسخاً للحكم والآية هذا قليل جداً وروده في القرآن الكريم، وقد يأتي نسخاً للحكم وهذا ما ورد وورد بأي كم؟ هذا ما سنعرض له بعد قليل.

البعض يقول كيف نسي الله سبحانه وتعالى - الأحكام وتذكر بعد ذلك أن مصلحة العباد في الحكم هذا لا يتناسب مع قدرة الله وجلاله وعلمه أن نقول أن هناك نسخ في القرآن الكريم وهذه نظرة فيها ضيق لأن الفقهاء وعلماء الشريعة الإسلامية وخاصة علماء التفسير حينما تكلموا عن النسخ نظروا إليه من زاويتين نظروا إليه من زاوية الله ونظروا إليه من زاوية العباد. ولذلك قالوا إنه بالنسبة للعباد تغيير لأنه نقل من حكم إلى حكم فنحن نقرأ القرآن الكريم ونرى أن الخمر حدث فيها تدرج وعملية التدرج تستدعي أن الحكم السابق يتوقف عمله ويأتي الحكم الذي يليه ويتوقف عمله ويأتي الحكم الذي يليه وبالتالي طالما أن التدرج ورد في القرآن الكريم ونحن نعلم أنه قد نزل القرآن على رسول الله ﷺ منجماً أي على دفعات ولأسباب متعددة لتثبيت قلب الرسول ﷺ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وأيضاً حتى يستطيع المسلمون أن يغيروا من

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٢١٦/١).

عاداتهم وسلوكياتهم خاصةً وأن أهل الجاهلية كانت العادات عندهم مستقرة وقائمة فترات طويلة جدًا كل هذه الأسباب كانت وراء التدرج فالتدرج يعني حكم ثم يأتي بعده حكم ولا نتخيل أن النسخ قد يكون من حكم أخف إلى حكم أشد، وقد يكون من حكم أشد إلى حكم أخف وقد يكون من حكم إلى لا حكم أي لن يستبدل ذلك بحكم آخر وله صور عديدة في القرآن الكريم وهو بالنسبة للإنسان تغيير وبالتالي ليست هناك إشكال في أن الله - سبحانه وتعالى - يحرك الآيات القرآنية حسب ظروف الإنسان لأنه جزء من خطاب الله - سبحانه وتعالى - أن الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فحينما يكون الإنسان في لحظة ضيق أو في لحظة سيطرة لعادات يحتاج الأول إلى نوع من التربية قبل أن يدخل إلى المرحلة الأخرى التي يتلقى فيها الأحكام كاملة أو يتلقى فيها الأحكام الأشد بدلاً من الأحكام الأسهل وهذا أمر منطقي وطبيعي ولا أجد لأحد حق الاعتراض عليه إذن هو بالنسبة للعباد تغيير أما بالنسبة إلى الله - سبحانه وتعالى - فهو بيان وليس سهو أو نسيان أو بداء أن الله - سبحانه وتعالى - بدا له بعد أن لم يكن عرف أو وجد أن يقول كذلك ليس هذا فهذا بالنسبة لله بيان فهل نحن علمنا ماذا عند الله - سبحانه وتعالى - من الأحكام الله يبينها وقد بين الأحكام للرسول على جميع الأحكام التي نزلت بها جميع الرسالات السماوية من لدن آدم إلى آخر رسول وهو سيدنا محمد ﷺ وكل ما سيأتي في دنيا الناس هو موجود في علم الله، فإله - سبحانه - يعلم ما كان وما سيكون هذا في علم الله إذن هو بالنسبة لله بيان إلهي مستمر، جزء من البيان الإلهي المستمر الاختراعات البشرية التي تحدث هذه الاكتشافات كلها ليست من صنع الإنسان إلا بمعنى أنه وصل إليها لكنها جزء من علم الله فإله - سبحانه وتعالى - يعلم كل ما سيحدث

ما كان قبل نشوء الكون وما سيكون بعد نشوء الكون وبالتالي إذن هذا البيان من الله - سبحانه وتعالى - مستمر فلا نتصور أن البيان انقطع مع بيان الرسل لأن الله - سبحانه وتعالى - منح الإنسان طريقين للوصول إلى الأحكام الشرعية الخطاب الوحي الذي جاء على لسان الرسل والعقل الذي منحه للإنسان فالعقل جزء من البيان لأن كل ما يصل إليه الإنسان هو بيانٌ لما أودعه الله - سبحانه وتعالى - من معرفة إنسانية وشاء أن تكون موجودة وهذه ما يكتشف اليوم هو جزء من البيان وما يكتشف غداً هو جزء من البيان ولكن البيان الإلهي مرتبط دائماً حتى ننسبه إلى العلم الإلهي ليس بالأحداث فقط وإنما بما هو علم هذا يستدعي أن يكون ما وصلنا إليه حقيقة من الحقائق وليس رأياً من الآراء ولكن ما يقع فيه الناس يومياً من أخطاء ومن معرفة قد تكون ناقصة ومن معرفة قد تكون غير صحيحة هذا كله في علم الله بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعلمه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ فحتى الأعمار حتى الأوراق ليس بعيداً عن علمه شيء في هذا الكون، إذن مشكلة النسخ ليست موجودة فالخلاف في النسخ ليس خلافاً في وجوده - من وجهة نظري - وإنما هو خلاف في ثبوت الآيات التي ورد فيها النسخ.

كل آية قرآنية يمكن أن تطبق دون أن يوجد تعارض حقيقي بينها وبين آية أخرى سواءً بتأويل أو بغيره فلا حاجة إلى البحث عن النسخ فيها، النسخ هو آخر طريق ينسل إليه الناظر في كتاب الله حينما يرى أن هناك تعارضاً لا يمكن رفعه بين آية وآية. الدكتور مصطفى زيد<sup>(1)</sup> قام

---

(1) الأستاذ الدكتور - مصطفى زيد ولد سنة ١٩١٧م في إحدى قرى محافظة كفر الشيخ بريف مصر، كان رئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم بجامعة =

بدراسة ممتعة في مجلدين كبيرين عن النسخ في القرآن الكريم وقرأ جميع آيات القرآن الكريم التي قيل أنها منسوخة في كتب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس<sup>(١)</sup> ولغيره من الذين كتبوا في الناسخ والمنسوخ وهم كثر وانتهى إلى أمر واحد وهو أنه لم يجد بعد دراسته آيات منسوخة في كتاب الله سوى أربع آيات وأن بقية الآيات التي قيل من العلماء إنها منسوخة يمكن التوفيق بينها عن طريق التأويل ويمكن أن تطبق هذه في مجال خاص وهذه تطبق في مجال عام، هذه مطلقة وهذه مقيدة ويحمل المطلق على المقيد إلى غير ذلك مما يقوله الأصوليون.

إن لا خلاف حول وجود النسخ ولكن الخلاف حول أولئك الذين يرون أن الآيات المنسوخة بعضهم يصل إلى عشرين آية وبعضهم يقول آية السيف نسخت مائة آية من القرآن، والمحققون من العلماء لم يجدوا عدم إمكانية لوجود النسخ إلا في أربع آيات وهذا يعني أن وجود النسخ في القرآن الكريم هو أمرٌ يتعلق بأن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن

---

= القاهرة خلال الفترة من عام ١٩٦٠م إلى عام ١٩٧٦م، كما عمل أستاذاً لجميع علوم الشريعة في جامعات: مصر، ودمشق، وبيروت، والخرطوم، وأخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، حيث عمل أستاذاً ورئيساً لقسم الدراسات العليا بها خلال الفترة من ١٣٩٥هـ إلى ١٣٩٨هـ، درس على يد كثير من كبار أهل العلم ومنهم الشيخ محمد أبو زهرة، والشيخ علي حسب الله، والشيخ محمد الزفزاف، والشيخ عبد العظيم معاني. موقع د. مصطفى أبو زيد.

(١) أبو جعفر النحاس نحوي مصري، ولد بالفسطاط وأخذ النحو عن مشايخها، ثم رحل إلى بغداد وأخذ عن الزجاج والأخفش الأصغر والمبرد ونقطويه. وبعد رجوعه من العراق، تصدر النحاس حلقة النحو بالجامع العتيق بالفسطاط، وناقسه على رئاسة النحويين بمصر أبو العباس بن ولاد وكثيراً ما عقدت المناظرات بينهما. أخذ النحاس الحديث عن الحسن بن غليب والنسائي. توفي بالفسطاط عام ٣٣٨ هـ.

يعرفنا بأن علمه محيط بكل شيء، وأن ما تدرج القرآن في الأحكام فيه إنما كان هذا التدرج هو جزء من تدرج البيان رحمةً بنا ولكن ليست بيان تغيير بالنسبة لله - سبحانه وتعالى - حتى نقول إنها بداء أو حتى نقول إنها نسيان فنسيان لو كانت بيان تغيير بالنسبة لله لكنها ليست بالنسبة لله تغيير وإنما بالنسبة لله - سبحانه وتعالى - هي جزء من بيان الله الذي تدرج لأنه يعرف عباده ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ فهو يعرف عباده سبحانه الله وتعالى وأنه لو نزلت عليهم هذه الأحكام في هذه الجزئية مرة واحدة لما استطاعوا أن يتحملوها ومن هنا تجدني أميل إلى القول بأن القرآن الكريم أيضًا الذي تدرج في الأحكام أعطانا نحن المسلمين إمكانية أن نقول أن التدرج فقط في عصر الرسول ٣ من الممكن جدًا الآن عندما يبتعد مجتمع ما عن شريعته ويبدأ في التطبيق بعد مائتان أو ثلاثة مائة سنة ألا يطبق هذه الأحكام مرة واحدة وإنما يمكنه يوجد بيئة تربوية وأن يوجد عمل تربوي لكي تعود الأحكام إلى تنفيذها بالتدرج وبالتالي هذا التدرج منهج من الله - سبحانه وتعالى - لتطبيق الشرائع وللعلم بها وهو منهج أثبتته القرآن الكريم عن طريق فكرة النسخ وأصبح منهجًا مستقلًا ولو أخذنا النسخ على أنه واقعة نقول أن النسخ باعتباره واقعة لا يبلغه إلا رسول الله، ولا يحدث إلا في عصر رسول الله، ولا يبلغ المسلمين النسخ أحدٌ سواه لأنه جزء من الرسالة، جزء من بلاغ الإسلام للمسلمين عن طريق الوحي أما منهجية النسخ التي ترتبط بالتدرج فهي أمر يستطيع المسلمون كلما ابتعدوا عن شريعة الله لأسبابٍ اختياريةٍ أو غير اختياريةٍ ثم بدعوا في العودة إلى الطريق الصحيح فيمكنهم أن يعودوا أيضًا طبق هذا المنهج المتدرج الذي لا يشق عليهم لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد حرجًا للعباد ولا يريد ظلمًا للعباد.

بهذا تكون موضوع النسخ - على الأقل من وجهة نظري - قد بانث مسالكة وأن القول بأن لا نسخ في القرآن هو قول يرتبط بأصل غير صحيح وهو أن النسخ تغييرٌ لحكمٍ من أحكام الله في مواجهة الله - سبحانه وتعالى - الذي لا ينسى ويعلم كل شيء ولذلك جاءوا بفكرة البداء وجاءوا بفكرة النسيان وكلها أفكار لا تنطبق على الذات الإلهية ولا على العلم الإلهي وإنما الأصل فيها العلم الإنساني المحدود الموجود خارج الزمن ولذلك لو أنهم قالوا إن النسخ بالنسبة للعباد تغيير وبالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى بيان لكفوا أنفسهم إمكانية التناقض وبالتالي أن يركزوا على أن النسخ كما حرره ثقات من العلماء وصل إلى أربع آيات وقد يأتي محرراً آخر في زمن آخر فيصل به إلى ثلاثة آيات والذي أتصوره أنه سيقى النسخ تعبيراً عن منهجية التدرج في وصول الأحكام إلى الواقع بكل مستوياته ومن هنا يصبح النسخ رغم أنه رفعٌ لحكم لكنه في نفس الوقت تثبيت لمنهج ويبقى منهج القرآن الكريم في أن الأحكام القرآنية المطلوب تطبيقها وأن هذا التطبيق كما تدرج في عصر رسول الله ﷺ وهو عصر الوحي يمكن أن يتدرج في عصر كذا وفي عصر كذا وفي عصر كذا واستخدام التدرج هل عمر بن الخطاب ألغى النص القرآني المتعلق بالمؤلفة قلوبهم؟ هل ألغى من القرآن الكريم؟ لكنه ألغى في التطبيق على هذا النموذج من الناس لأنه رأى أن علته ليست موجودة وأوصافه ليست موجودة فلو أن المسلمين احتاجوا إلى التأليف لعادوا إليه مرة أخرى وهذا لون من التدرج في التنزيل وليس تدرج في الخطاب، في عصر الرسول كان هناك تدرج في الخطاب وتدرج في التنزيل عندما انتهى عصر الرسول ﷺ أصبح تدرج الخطاب غير ممكن لأنه انتهى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ



دِينًا ﴿المائدة: ٣﴾ لا يوجد خطاب من الله للإنسان إلا ما جاء في القرآن الكريم وصحيح السنة وبالتالي أصبح الآن الحوار والتدرج في التنزيل وليس في الخطاب فالخطاب نعم نزل منجماً ونزل متدرجاً ولكن في أيامنا هذه ليس هو مجال التنزيل ولا مجال الخطاب. هل هناك سؤال.

سؤال:

بخصوص موضوع النسخ حديث السيدة عائشة: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرم من ثم نسخن بخمس معلومات" ومات رسول الله ٣ وهن فيما يقرأ من القرآن".

أ.د. محمد كمال الدين إمام/

هذا غير صحيح لأن القرآن الكريم وصل إلينا بالتواتر فهذا من القراءات الشاذة التي كما قلنا بالأمس أو في المحاضرة الماضية لا تأخذ حكم القرآن ولا تعتبر من القرآن نفسه وبالتالي كل القراءات الشاذة مثل قراءة متتابعات الواردة عن عبد الله بن مسعود "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" أيضاً هي من القراءات الشاذة وبالتالي صح أم لم يصح ذلك عن أم المؤمنين عائشة فيقيناً أنه ليس من القرآن الكريم.

سؤال:

المنكرين للنسخ في القرآن الكريم ما قوله في قول الله تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾.

أ.د. محمد كمال الدين إمام/

هم ينظرون إلى النسخ بمعنى الكتابة بما كتب على اللسان وليس النسخ بمعنى إزالة حكم والمجيء بحكم آخر، فدائمًا هم يفسرون الآية على غير المعنى الذي قصدته فهم يستخدمون التفسير اللغوي للقرآن الكريم ويفسرون كلمة نسخ هنا بتفسير آخر غير رفع حكم سابق بدليل لاحق.

أ. أمينة عبد اللطيف

الحديث عن النسخ يرتبط بنسخ الأحكام لكن نوع نسخ التلاوة هو الذي به مشكلة حادة تخص القرآن الكريم نفسه.

هناك مشكلة في نسخ التلاوة عن طريق استخدامه في التصير فإذا كان الأمر واضح لكم باعتباركم من العلماء وبالنسبة لنا كباحثين وبالنسبة لأي مسلم متعقل أو عاقل لكن ضعاف العقل أو ضعاف الإيمان من المسلمين يتم استخدام النسخ في التصير.

وهل ممكن طريق المجامع الفقهية التي تعتبر إجماع أن يتم بحث موضوع نسخ التلاوة ونصل فيه إلى رأي محدد وفرضه.

أ.د. محمد كمال الدين إمام/

كل ما جاء في الأثر ظني والقرآن الكريم فيما يتعلق بثبوت آياته قطعي الثبوت هذا لا خلاف فيه بين المسلمين كجزء من الإيمان قبل أن يكون جزء من الفقه أو الأصول ولا يمكن عقلاً للظني أن يتحرك ولا أن ينسخ القطعي فكل هذا الكلام كل ما هو في القرآن الكريم سواء ترتب

عليه حكم أو لم يترتب عليه حكم فهو مترتب عليه أثر وهو عبادة الله - سبحانه- بتلاوة هذا القرآن وبالتالي كل ما يأتي خارج النص القرآني فهو خارج الموضوع على الإطلاق أي سؤال فيه لا بد أن نسأل صاحبه هل ما ورد في الأثر قطعي أم ظني؟ ولا يستطيع أن يقول قطعي فسيقول ظني والظني لا عمل له مع القطعي والمسألة مسألة عقلية لا تحتاج منا إلى التعب.

مسألة نسخ التلاوة وكل هذا الموضوع من البداية لا يؤمن بأن هذا الكتاب من عند الله فبالطالي يتكلم فيه كما يتكلم عن أي شيء آخر فكون أن الإنسان العادي يجهل أن هناك قراءات شاذة لا يُعمل بها وأن الأثر ظني هذه مسائل هم يستخدمونها ويدخلون القراءات الشاذة ويقولون هذه كانت تلاوة في عصر رسول الله ﷺ وأنها سقطت وأن القرآن فيه نواقص وأن القرآن في مصحف فاطمة وكل هذا نوع من الشبهات والتشويه المفروض إزالتها لكننا نتحدث في المجال العلمي مباشرة.

ولسنا بحاجة إلى البحث في نسخ التلاوة لسبب بسيط جداً أن هناك نسخة من نسخ القرآن الكريم المتداولة بين المسلمين منذ أن جمع مصحف عثمان إلى يوم الناس هذا هل هناك خلاف حول الوارد في الآيات في المصحف فما هو المطلوب إعادة بحثه وهذه الآثار لا تلزمني فبمجرد أن يأتي أثر يتم حله.

فليستخدمونها وأنا سأحاجهم بأمر معين هو أن هذه ظنية وإنما ما ثبت بالقرآن قطعياً عند الجميع إذا أنت وضعت المعيار هو الظنية والقطعية انتصرت عليه وإذا وضعتي المعيار مناقشته لن تصلي معه إلى نقاش طالما أنك تتناقشين في ظنيات لكن دائماً نضع المقابل لكل آية في كتاب الله من الموجود بين يدي المسلمين الآن غير قطعية الثبوت لن يستطيع أن يأتي لأن مصدرها التواتر فلن يستطيع أن يأتي إنما قد يختلف فيها بأن يقول أن هذه الآية تسب المسيحيين أو أن هذه الآية تأمر بالقتل فنقوم نحن بتفسيرها له.

والله ولي التوفيق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

## ورشة عمل حول

### النسخ في القرآن الكريم

الشيخ محمد عوض

داعية إسلامي

السلام عليكم ورحمة الله، بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد،

قضية النسخ من القضايا المهمة جداً والتي ثار حولها جدلٌ كبيرٌ جداً في علوم القرآن، ومنشأ الجدل أن قضية وجود نسخ في القرآن هو رأي الجمهور الأعم من علماء المسلمين من القديم، وبالتالي لما تبنى الجمهور هذا الرأي بدأت تتم عملية إسقاط آيات القرآن على هذا الرأي الذي تم تبنيه مسبقاً، وبالتالي صارت مسألة تأويل الآيات على وفق ما اعتُقد مسبقاً، وهذا في الحقيقة يحتاج إلى تحذير شديد جداً.

أولاً منشأ القول بالنسخ يرتكز على آيات في القرآن أهمها آيتان آية في سورة النحل، وآية في سورة البقرة. آية سورة النحل هي قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ \* قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠١-١٠٢) الشاهد فيها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ ففسرت الآية هنا بالآية القرآنية التي تحمل حكماً شرعياً وصار معنى الآية على هذا النحو وإذا بدلنا آية

أو حكمًا مكان حكمٍ والله أعلم بما ينزل - فهذه جملة اعتراضية - أي أعلم بمصالح العباد بما يشرع قالوا إنما أنت مفتر وصارت هذه هي الآية الرئيسية التي يحتج بها لوجود النسخ في القرآن والحقيقة أن الاستشهاد بها استشهاد مضحك لماذا؟ لأن الحكم الشرعي الآية أصلاً في سورة النحل وسورة النحل مكية باتفاق الجمهور وبالتالي لم يكن في مكة أحكام حتى تُنسخ، وبالتالي الاستشهاد هنا هو نوع من الإسقاط على فهم الفقهاء وهذا حدث في الحقيقة كثيراً في تراثنا الفقهي بل أن هذا المنهج مع الأسف الشديد تم تنبيهه في كثير من علوم أصول الفقه فهناك نحتج للقياس بأية ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ نحتج للإجماع ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ (النساء: ١١٥) وهذه الآيات لم تتخذ منطلقاً للأصول وإنما تم التعميد ثم طوّل الفقهاء الذين قعدوا لقواعدهم بالتأصيل من القرآن فأخذوا يتجهون إلى التفكير بعد أن قعدوا القواعد أصلاً وهذا موجود وقد سأل "الشافعي" في آية الإجماع كيف نحتج للإجماع من كتاب الله؟ فخلاً أياماً حتى خرج بهذا الدليل فهذه ظاهرة موجودة في تراثنا الفقهي والأصولي كثيراً فلا نستغرب أن يتم الإسقاط.

إذن استخدمت هذه الآية في الاستدلال للقول بالنسخ في كتاب الله، والفيصل فيها أن الآية فُسرَت بالحكم الشرعي لكنها ليست على هذا النحو أبداً لسبب بسيط جداً وهو مكية السور، والمكية في مكة ولم تكن هناك أحكام حتى تنسخ ومن المعلوم أن الأحكام إنما نشأت في المدينة وكانت المرحلة المكية السمة البارزة لها أنها مرحلة تربية ومرحلة تأسيس للجانب الإيماني فما معنى الآية إذن هنا الآية باستقراء لفظ آية كل آية جاءت مركبة في القرآن فهي بمعنى الخارقة الحسية؛ ما تشذ لفظة في

هذا المعنى أبداً عن هذه الدائرة، آية إذا جاءت منكراً فهي تستخدم بالاستقراء التام في القرآن الكريم وهذا الاستقراء سهل فلو أننا مددنا أيدينا للراغب الأصفهاني مثلاً وهو من أفضل ما كتب في معاجم المفردات سنجد أن آية تستخدم بمعنى الخارقة الحسية ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ \* إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (الشعراء: ٢-٤)، والآية هنا هي الخارقة أي إن نشأ نزل عليك آية كالأيات التي أنزلت على الأنبياء من قبل فخضعت رقابهم لها لكننا لم نشأ أن تدخل هذه الأمة الإيمان بهذه الطريقة البدائية التي كانت تناسب ظروفًا معينة للأنبياء السابقين. الآية هنا لا تخرج عن هذا التفسير، ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً﴾ الآية هنا هي الطريقة التي يؤيد بها النبي الآية المعجزة التي يُدعم بها صدق النبي ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ﴾ فالآية التي أيد الله بها نبي هذه الأمة هي الآية العقلية التي كان يتحدث عنها أستاذنا، وإذا بدلنا آية عقلية مكان آية حسية كالتي أويد بها الأنبياء من قبل ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ هذه جملة اعتراضية في سياق الكلام معناها والله اعلم بما يناسب ظرف كل أمة هذه الأمة بلغت مرحلة النضج البشري فالعقل يمر في تطوره كما يمر الإنسان بمرحلة طفولة وشباب وهكذا العقل أيضاً وهذه الأمة وصلت في هذه المرحلة إلى مرحلة من النضج حيث صار من المناسب لها ألا تؤيد بهذه الآيات التي لا يؤمن بها إلا من عاصرها وشاهدها ولذلك في الحديث: (حديث مرفوع) حَدَّثَنَا يُونُسُ، وَحَجَّاجٌ، قَالَا: حَدَّثَنَا لَيْثٌ، قَالَ حَجَّاجٌ فِي حَدِيثِهِ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ يُونُسُ: عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "مَا مِنْ

النَّبِيِّاءِ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيَّ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(١)</sup>. المشركون كانوا يقترحون على رسول الله الآيات القديمة التي اعتادها الأنبياء من قديم وقالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا﴾ (الإسراء: ٩٠)، ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُرُوفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرِيقِكَ حَتَّى تُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٣) فهذه الآيات كان المشركون يقترحونها ويطالبون رسول الله ﷺ بأن يأتي بنفس النسق الذي أتى به الأنبياء من قبل وكانوا يكذبونه لهذا، ولذلك القرآن برر الموقف بعدم الاستجابة لهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ (الإسراء: ٥٩) فتجربة الآيات أثبتت فشلها في التاريخ البشري ثم ضرب المثل ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ (الإسراء: ٥٩) فهي آية يخرج من الجراد ومن الحجر آية ناقة فماذا فعلوا؟ ﴿فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ فلما لم تحدث هذا التخويف ولما لم تحدث هذا الأثر المرجو من ورائها كان قضاء الله - سبحانه وتعالى- أن يستبدل نسق هذه الآيات الحسية بهذه الآية العقلية. فالآية التي استشهدوا بها على النسق فالاستشهاد بآية النحل بالذات استشهاد مضحك ولا يناسب أي شيء من القواعد المنهجية إطلاقاً لمكية.

(١) مسند أحمد بن حنبل



## مداخلة

معنى الآية هنا مناسب للسياق الذي ذكرت فيه فالآيات هنا تتحدث عن القرآن ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ من أول الآيات فهذا الاستشهاد مناسب للسياق الذي سيقت فيه هذه الآية أليس كذلك؟

## الشيخ محمد عوض

جزاك الله خيراً، بلى. هنا الأخ محمد يردنا إلى السياق إذا رجعنا إلى السياق إذا رجعنا للآيات السابقة والآيات اللاحقة فسرى أن القرآن يتحدث هنا عن سياق القرآن وأنه المعجزة والآية التي ارتضاها الله لرسوله.

نفس الخطأ هو ما جرى عليه من استنبط في آية البقرة ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ فقد فسروا الآية أيضاً بمعنى الآية التي تحمل حكماً شرعياً والآية هنا ليست في هذا السياق فإذا رجعنا إلى السياق نجد أنه من مشاكل التفسير الخطيرة جداً أن تقطع النص من سياقه وتفسره بمعزل عن سابقه ولاحقه فلو احق هذه الآيات ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ﴾ وما الذي سُئِلَ موسى من قبل؟ معروف أنهم سألوا موسى كثيراً من الآيات الحسية والله - سبحانه وتعالى - يتوجه بالسؤال إلى المسلمين ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة: ١٠٨) هو لن يستجيب فإذا سألتموه لن يستجيب لأنه ابتداء قضاء الله سبحانه وتعالى أن تكون الآية والآية الوحيدة التي يؤيد بها رسول الله ﷺ هو هذا القرآن

وليس غيره ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (العنكبوت: ٥٠-٥١) فكان هذا الكتاب قائم مقام الآيات كلها في الدلالة وبالتالي يكون المعنى مباشرة ﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ﴾ أي دنا بها الأنبياء من قبله ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ لطول العهد والأمد بينك وبينها ﴿بِأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾، ولذلك ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الله - سبحانه وتعالى - قادر وهو المتصرف في أن يأتي بهذه الآية أو أن يأتي بتلك هاتان أهم آيتان وبقية الآيات مثل آية الحج وما شابه الدلالة فيها غير ظاهرة إطلاقاً لكن هاتان الآيتان يرتكز عليها المؤيدون لمسألة النسخ.

مسألة النسخ بها مشكلة منهجية كبيرة جداً فيهدم فكرة النسخ أساساً - ناهيك عن قول البداء فهو كلام ساذج- وإنما مشكلة النسخ هنا أنت تعطل نصاً بناءً على ضعف أدوات مجتهد ما وهنا تكمن الخطورة فالتفاوت في حصر الآيات التي قيل بنسخها في هذا بمفرده كفيل بهدم هذه النظرية فأستاذنا قال أن الدكتور مصطفى أبو زيد في رسالته التي قدمها للدكتوراه للنسخ وصل إلى أنه لا نسخ في القرآن إلا في أربع أو ست آيات فهذه كانت إمكاناته فلو أنك استطعت التوفيق أو إزالة التعارض الموهوم في ذهن المجتهد أي معنى ذلك أنني أربط النص القرآني بفكر المجتهد أو بفهمه إذا رزق القدرة على رفع التعارض الموهوم والمتصور في ذهنه سيقول أنه لا يوجد نسخ إذا لم يعرف التوفيق فسيقول أن التناقض أو التعارض قائم بين النصين فسيكون هناك نسخ فمعنى ذلك أننا نربط النسخ بعقلية المجتهد وأدواته.

الآيات التي توقف عندها الدكتور أبو زيد بدأت بالمئات ووصلت ربما عند البعض إلى خمسمائة وستمائة والدكتور أبو زيد في رسالته ظل يكر على هذه الآيات إلى أن وقفت إلى عدد من الآيات. هذه الآيات وفقها الدكتور طه العلواني مثلاً وهناك توفيقات هائلة لفكرة النسخ الآن مربوطة بعقلية المجتهد وهذا لا يجوز.

### هناك طريقتين لإثبات النسخ:

الطريقة الأولى: أن يأتي النص الأخير فيدل على أنه نسخ الذي سبقه فمثلاً نحن نقرأ في **عن ابن مسعود** (أخرجه ابن ماجه بلفظ: كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة) وأنس (أخرجه أبو داود، والنسائي والحاكم ولفظ **الحاكم**: كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلوب وتدمع العين وتذكر الآخرة" هنا النص الأخير يحمل الحكم الأول ويدل على أنه أزاله.

الطريقة الثانية التي يثبت بها النسخ: هو أن يكون هناك نص عام ويأتي ما يقيدته وكثيراً من الأئمة الذين تحدثوا عن وجود نسخ في القرآن قصدوا النسخ بالمعنى الثاني بحيث يكون هناك نص عام فيأتي نص خاص فيخصه أو نص مطلق يأتي نص آخر يقيدته فمثلاً في حد القذف **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾** (النور: ٤) هذا نص عام يشمل جلد القاضي ثمانين جلدة وهذا نص عام في كل قاذف يقذف بلا بينة ثم يأتي نص يخصه بعده مباشرة **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾** يستثنى من هذا إذا رمى الرجل امرأته **﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾** (النور: ٦) هذا نص عام وهذا

نصٌ خاص وكثير من الفقهاء القائلين بعدم النسخ كانوا يطلقون على هذا النوع نسخ ولا خلاف في وقوع مثل هذا لكن هل هذا نسخ بالمعنى الاصطلاحي الذي أطلقه الفقهاء وهو إزالة حكمٍ بحكمٍ لاحقٍ بتأخر؟ لا لأننا نعمل بالنص العام وما خصصه والمطلق وما قيده كلحمة واحدة فهم غير متعارضين الإشكال في أن هل في القرآن نسخ بمعنى أن النص الثاني أزال أو نص على أنه نسخ الحكم الذي قبله؟ هذه هي الإشكالية والشيخ محمد الخضر<sup>(١)</sup> في "أصول الفقه" ذكر وقال أنه لا يمكن أن ينطبق هذا -وينطبق وهما- إلا على ثلاث آيات في القرآن الآية المشهورة في سورة الأنفال ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (الأنفال: ٦٥) إذن هنا الواحد يثبت لعشرة وبعد ذلك قال ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ (الأنفال: ٦٦) فيقولون

---

(١) تخرج محمد الخضر الحسين في جامع الزيتونة بتونس، ومن أقرانه الذين كانوا رفقائه في جامع الزيتونة شيخ الزيتونة محمد الطاهر بن عاشور، ومنصور أبوزبيدة الفيتوري أحد أهم علماء ليبيا. أنشأ محمد الخضر حسين مجلة "السعادة العظمى" عام (١٣٢١ هـ / ١٩٠٢ م) لتنتشر محاسن الإسلام، ثم عُهد إليه بقضاء بنزرت، والخطابة بجامعها الكبير عام ١٩٠٥ م، لكنه لم يمكث في عمله هذا طويلاً، فعاد إلى التدريس بجامع الزيتونة وتولى تنظيم خزائن كتبه، ثم اختير للتدريس بالمدرسة الصادقية وكانت المدرسة الثانوية الوحيدة في تونس. نزل محمد الخضر الحسين القاهرة سنة ١٩٢٠ م، واشتغل بالبحث وكتابة المقالات، ثم عمل محرراً بالقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، واتصل بأعلام النهضة الإسلامية في مصر وتوثقت علاقته بهم، ثم تجنّس المصرية، وتقدّم لامتحان شهادة العالمية بالأزهر، وعقدت له لجنة الامتحان برئاسة العلامة عبد المجيد اللبان مع جماعة من علماء الأزهر، وأعجبت به تلك اللجنة، وبلغ من إعجاب رئيسها بالطالب أن قال: "هذا بحر لا ساحل له، فكيف نقف معه في حجاج". علماء الأزهر، موقع أزهرى.

أن النص الثاني نسخ الأول بأن هاتان الآيتان سُبِقُوا بالأمر العام في سورة الأنفال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ أَيَا كَانَ عَدَدُهُمْ وَأَيَا كَانَ عَدَدُكُمْ فَجَاءَتْ الْآيَةُ الْأُولَى وَهِيَ وَاحِدٌ إِلَى عَشْرَةِ تَضَعُ حَدًّا لِهَذَا الْأَمْرِ بِالثَّبَاتِ فَطَوْلِبُ الْمُسْلِمِ الْوَاحِدِ أَنْ يَثْبِتَ لِعَشْرَةٍ ثُمَّ تَقُولُ الْآيَةُ ﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ أَيْنَ النَّسْخُ هُنَا؟ فِي حَالَةِ الضَّعْفِ يُمكنُ أَنْ يَثْبِتَ الْوَاحِدُ أَمَامَ اثْنَيْنِ وَفِي حَالَةِ عَدَمِ الضَّعْفِ يُكونُ الْمُسْلِمُ مُطَالِبٌ أَنْ يَثْبِتَ لِعَشْرَةٍ وَهَذَا تَأْوِيلُ الشَّيْخِ الْخَضْرِيِّ، أَمَّا الدُّكْتُورُ طَهَ الْعُلُوَانِي وَجِهَ تَوْجِيهِه رَائِعٌ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ فَقَالَ أَنْ مُطَالِبَةُ الْوَاحِدِ أَنْ يَثْبِتَ لِعَشْرَةٍ هَذَا بَيَانٌ لِلْحَدِّ الْأَقْصَى الَّذِي يُمكنُ أَنْ يَثْبِتَ أَمَامَهُ الْإِنْسَانُ فِي حَالَةِ اسْتِجْمَاعِهِ لِقَوَاهِ وَالْحَدِّ الْأَدْنَى هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَعِنْدَمَا نَأْتِي لِتَارِيخِ الصَّرَاعِ الْإِسْلَامِيِّ مَعَ أَعْدَائِهِ مَا ثَبِتَ أَبَدًا أَنْ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ نَسْبَتُهُمْ فِي مَعْرَكَةٍ مِنَ الْمَعَارِكِ وَاحِدٌ إِلَى اثْنَيْنِ إِطْلَاقًا وَمَعَ هَذَا ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، ﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِ الْقَلِيلِ﴾ لَكِي يُشْجِعُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ فَالْآيَةُ الَّتِي تَنْصُ عَلَى الْحَدِّ الْأَعْلَى لَيْسَتْ مَنْسُوخَةٌ بِمَا بَعْدَهَا وَإِنَّمَا الْحَدُّ الْأَعْلَى الْقُرْآنُ يَبِينُ أَنَّهُ بِإِمكانِ الْإِنْسَانِ أَنْ يَثْبِتَ لِعَشْرَةٍ فِي حَالَةِ اسْتِجْمَاعِهِ لِقَوَاهِ وَمِثْلُهَا آيَةٌ فِي آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ (البقرة: ٢٨٤) وَهَذِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ الَّتِي وَقَفَتْ أَمَامَ الدُّكْتُورِ أَبُو زَيْدٍ، وَهِيَ الْآيَةُ تَنْصُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُحَاسِبُ الْإِنْسَانَ عَلَى مَا أَخْفَاهُ فِي بَاطِنِهِ وَيُحَاسِبُ الْإِنْسَانَ عَلَى مَا حَدَّثَهُ بِهِ حَتَّى نَفْسُهُ وَيُحَاسِبُهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَمَّا ظَهَرَ فَعَمَلًا إِلَى دُنْيَا الْوَأَقِعِ وَالْحَدِيثِ فِي صَحيحِ مُسْلِمٍ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوا﴾

يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}. شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم جثوا على الركب، فقالوا: يا رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزل الله عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا "سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير". فلما قرأها القوم وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في أثرها {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}. فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل {لَا يَكُفِّرُ اللَّهُ نَفْسًا إِنَّا وَسِعْنَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} ". رواه مسلم.

وفي الحديث: قال الإمام مسلم رحمه الله في آخر كتاب الإيمان من صحيحه: حدثنا سعيد بن منصور وقتيبة بن سعيد ومحمد بن عبيد الغبري — واللفظ لسعيد — قالوا حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به)).. ولكن قد يحاسب الإنسان على ما في النفس، كالرياء وظن السوء بالله تعالى، وبعض ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. والمحاسبة أعم من المعاقبة. والأصل أن الإنسان لا يُعاقب على ما تحدثت به نفسه دون كلام

أو عمل ما دام هماً مجرداً، لكن إذا تجاوز مرحلة هم الخطرات بحيث اقترن مع هذا الهم ما يستطيعه الإنسان من قول وعمل حتى ولو لم يصل إلى ارتكاب المعصية أو كان الحائل بينه وبين فعل المعصية هو عجزه عنها أو نحو ذلك فهذا مما يحاسب عليه الإنسان، وقد جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: هذا القاتل فما بال المقتول، قال: إنه كان حريصاً على قتله صاحبه . فهذا الإنسان مع أنه لم يقتل ولكن لما هم بالقتل – هم إصرار – وفعل ما يستطع في سبيله، ولكن حال بينه وبين قتل أخيه المسلم عجزه عن ذلك كان آثماً مستحقاً للعقوبة، وقد قال الإمام أحمد: الهم همان، هم خطرات، وهم إصرار. فهم الخطرات هو الذي يعرض ثم يذهب، ويدافعه صاحبه، فلا يأثم في ذلك بل ربما كان مأجوراً لأنه مجاهد لنفسه، ترك السيئة ابتغاء وجه الله، وهم الإصرار هو الذي يكون معه ما يستطيع الإنسان من الأقوال والأعمال حتى ولو عجز عن فعل المعصية فهذا آثم مستحق للعقوبة. ومن هم بسيئة ثم تركها خوفاً من الله وطلباً لمرضاته فإنها تكتب له حسنة.

ما كسبت أي بالظاهر والجوارح وتجاوز الله للأمة عما حدثت به نفسها هذا ليس نسخاً فهذا أيضاً بيان لإمكانية أن يصل الإنسان في مرحلة من المراحل إلى أن يكون باطنه كظاهرة هذا يمكن وفي قدرة الإنسان وفي وسعه ألا يختلف ظاهره عن باطنه ونحن رأينا نماذج من هذا رأينا من قال: قيل بما بلغت ما بلغت حدثنا رسول الله أنك من أصحاب الجنة قال: "ما بلغت هذا بطول صلاة ولا صيام غير أنني أبيت وليس في قلبي رجسٌ لأحد".

## مداخلة

إذا كان هذا الوصف ليس من باب النسخ فلماذا شق على أصحاب النبي ؟؟

## الشيخ محمد عوض

لدينا مستويين في نظرة الله - سبحانه وتعالى - إلى العباد:

في حديث القرآن عن تحويل القبلة بين القرآن الحكمة من أمر المسلمين أولاً في استقبال بيت المقدس في الصلاة ما الحكمة في هذا؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ (البقرة: ١٤٣) ألم يكن الله يعلم دون أن يأمرهم؟ بلى. كان يعلم. فما المقصود بقول: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ إلا لنعلم علماً يترتب عليه الثواب والعقاب وهكذا يمكن أن تنسحب هذه الدائرة فيما نحن فيه أن من شق على الله يحاسبوا على هذا فقال الله - سبحانه وتعالى - لن يكون هناك حساب على مثل هذه الأمور وإنما يمكن أن تصلوا بإمكاناتكم وقدراتكم - طبعاً إن صح الحديث - فأنا أفسر الآية في ضوء ما ورد في الحديث ولكن هنا نجد إشكالية أخرى؟ وهي أن النسخ يثبت بأحاديث آحاد.

## مداخلة

هذا الكلام يعني أن الصحابة كانوا يفهمون القرآن خطأً بما فيهم رسول الله ﷺ بأن نسحب دائرة ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ على الآية التي شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فهو ما شق إلا بعد أن اعتقدوه حكماً شرعياً وبعد أن آمنوا بمقتضى هذه الآية فلما آمنوا بها وقالوا ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾



خفف الله عنهم فأزال حكم هذه المسألة ولم يحاسبهم بما حدثوا أنفسهم  
ولذلك قال بعدها عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

### الشيخ محمد عوض

الحديث الذي ذكرته وعلق عليه الزميل أظن أنه عن ابن مسعود وهو  
في الصحيح يقول الصحابي فنزلت هذه الآية ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا  
وُسْعَهَا﴾ فنسختها هنا الجبر إلى ما يثبت به النسخ ونحن الآن نبنى النسخ  
على هذا الحديث وغيره. النسخ يثبت الآن في القرآن بشيئين:

١. أحاديث آحاد كهذا الحديث الذي معنى.

٢. أو بنظرة الفقيه إلى النص.

بالنسبة لحديث الآحاد نحن الآن نحكم حديث الآحاد في المتواتر بمعنى  
أنني أقول أنني لو قبلت حديث الآحاد في حين أن حديث الآحاد نفسه لا  
يثبت به قرآن فضلاً عن أن يعطل نصاً.

ولا يمكن أن تعطل آية أو عدة آيات لا بخبر آحاد ولا يمكن أن  
يعطل نص أو عدة نصوص بنظرة فقهاء، فنحن لدينا عندما يتعارض في  
قواعد الترجيح في السنة نقدم المتفق عليه - إذا كان هناك نصين في  
المسألة - نقدم المتفق عليه على المختلف في تصحيحه أي نقدم الصحيح  
المتفق على صحته ونحن هنا نجعل نص الآحاد موازي للنص القرآني  
وكان احتمالية الظن فيه ليست واردة.

### مداخلة

هل تعتقد ثبوت هذا الحديث على الصحابة أم لا؟.

## الشيخ محمد عوض

أنا لا أستطيع أن أعطل بخبر الأحاد نص قرآني أبداً. والسؤال الثاني الحديث الذي ذكرته أو سأله أحد الإخوان للدكتور محمد كمال إمام "كان فيما يقرأ من القرآن كذا عشر آيات ثم نسخن بخمس وتوفي رسول الله وهن فيما يقرأ من القرآن" أنا لا اعتقد بأي حال من الأحوال أن الله أنزل آية على محمد ٣ وأنساه إياها وقالوا: ﴿سُنُّرُوكَ فَلَا تَنْسَى﴾ هذا لبيان إمكانية الوقوع لا لبيان الوقوع أي يمكن أن ننسبك منه وهذه الآية جاءت في معرض امتتان بحفظ القرآن في صدر الرسول كم قال له في سورة الإسراء ﴿وَلَمَّا سَنَّا لِنَّذْمِ بْنِ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٦) فتحكيم الأحاد في القرآن بمعنى أن أعطل نصاً أو أن أحكم بنبوت هذا أمر يحتاج إلى مراجعة والنظرة في الأحاد أحيلك إلى المقدمة التي كتبها الشيخ محمد أبو زهرة في الأحاد في مقدمة كتاب "العقيدة كما جاء بها القرآن" فلا يمكن أبداً أن يرقى الأحاد إلى أن يعطل نص.

وقد ذكر أ.د. محمد كمال الدين إمام التدرج والنسخ هناك فرق شاسع بين التدرج والنسخ وأريد من أستاذنا الدكتور توضيح هذه الإشكالية فالنسخ غير التدرج فإن قلت أن النصوص متدرجة فهذا يعني أنك تقول إن هذه النصوص المتعددة التي نزلت على مراحل متعددة صالحة للتطبيق إذا وجد الطرف الذي تطبق عليه أما إذا ذكرت أن هناك نسخ فهذا يعني أن تلغي كل النصوص التي أتت في المراحل المختلفة وتثبت النص الأخير فقط.

## مداخلة

د. محمد كمال الدين إمام لا يقصد ذلك وإنما يقصد شيء آخر فهو يتحدث عن مسألة مبدأ التدرج وجود مبدأ التدرج وليس تطبيق الآيات التي بها النسخ على الواقع فنحن لا نقول بتطبيق الحكم الذي نعتقد أنه منسوخ على الشريعة وإنما تطبيقه في الواقع إذا وجدت الظروف فهو لا يقول ذلك وإنما هو يقول أن مبدأ التدرج نفسه النسخ دليل عليه.

## الشيخ محمد عض

النسخ غير التدرج النسخ إزالة حكم بدليل متأخر فأنت لديك آيات في الخمر وهم أربع آيات وكذلك الأمر في الربا هل نظرتك للأربع آيات أنهم أربع آيات في أربع مراحل مختلفة والملزم منها هو النص الأخير فاجتنبوه أم مؤمن بأن الأربعة لهم مجال للعمل؟

## مداخلة

على أي وضع الحديث على مبدأ التدرج نفسه في التشريع سواء في الصلاة أو في تحريم الخمر أو في الصيام وفي كثير جدًا من الأحكام الشرعية نجده موجود بما فيه النسخ، والمقصود من الحديث أن الله - سبحانه وتعالى - بعلمه الواسع رآهم مناسبين لأن يطبقوا هذا الحكم في هذا الوقت ثم رأى - عز وجل - بواسع علمه أن يغير هذا الحكم - سواء من خلال الإلغاء أو عدمه - وموضع النقاش أنه في المرحلة الثانية وجد الله - سبحانه وتعالى - أن الحكم المناسب أن يعملوا بهذا الشيء سواء أزيل بالكلية أو لم يزل أو غير فهذا ليس موضع النقاش أنه حدث تغيير

بالنسبة للبشر وهذا التغيير يسمى تدرج وإذا لم ترد تسميته تغيير فسمه ما  
شئت المهم أنه تغيير.

### الشيخ محمد عوض

بعيداً عن فكرة الدكتور محمد كمال إمام نحن نطرح مبدأ السؤال  
المطروح لنا جميعاً لنجيب عليه ما الفرق بين القول بالنسخ والقول  
بالتدرج؟ هل الاثنان مفهوم واحد أم أن هناك فرق؟

### مداخلة

نقطة الخلاف بينك وبين الشيخ على قول الدكتور محمد والدكتور  
محمد كان يستدل بعدم وجود النسخ بوجود التدرج.

### مداخلة

هذا يثبت النسخ بوجود التدرج فالتدرج أحد أدلة النسخ والتدرج  
موجود في القرآن الكريم من خلال المثال الأقوى الخاص وهو تحريم  
الخمير أما النسخ فهو شيء مختلف تماماً والدكتور محمد كمال يقول أن  
النسخ موجود لأنه نوع من التدرج في التشريع وأنا لست موافقة على هذا  
الرأي، وهناك رأي آخر مقنع لي يطرحه الدكتور علي جمعة في كتابه  
النسخ عند الأصوليين وأجمل ما في هذا الرأي أنه ليس رأيه خاص وإنما  
هو يعتبر أنه رأي شخص يسمى علي الغماري - وهذه فضيلة من الشيخ  
علي جمعة أنه يعترف أنه ليس مصدر الرأي - والنسخ يثبت على  
الغماري حيث يقول أن النسخ ليس نسخاً بمعنى أنه حكم يلغي حكم ولكن  
الحكمين موجودين في القرآن الكريم وهما الحكم المنسوخ والحكم الناسخ  
إلى الأبد والاثنتان يُفعلان كل في وقته فأية السيف وآية الجهاد تفعل في

وقت عندما يحتاج المسلمون إليها وهذا قد لا يكون نسخاً ولكنه تفسير ما يقال عنه نسخ فعلي الغماري وعلي جمعة ينفيان النسخ ويثبتان أن الآيات التي يقال عنها الناسخة والمنسوخة موجودان في القرآن ليعمل كل منهم في وقته وفي زمنه حسب حالة المسلمين واعتقد أن هذا هو الرأي الأصح أن أفعل آية الآن وأفعل أخرى في وقت آخر وبذلك تلغي مشكلة النسخ لأنها تمثل بالفعل مشكلة في الدين.

### مداخلة

هنا نقطتان النقطة الأولى هي مسألة ثبوت هذا الحديث وغيره مثل: حديث خمس رضعات، وحديث الشيخ والشيخة إذا زنيا ... الخ.

النقطة الثانية أن الشيخ قال إن هذا تحكم من أحاديث الآحاد في المتواتر.

### الشيخ محمد عوض

في القرآن الذي هو أرقى من المتواتر فالمتواتر هو السقف الأعلى الذي وصلنا إليه ولو هناك شيء أعلى من ذلك فالقرآن يقول بها لا تقيس منهجية كتابة السنة وتدوينها على منهجية القرآن أبداً بحال من الأحوال.

### مداخلة

آيات القرآن الكريم هل تفسرها بأحاديث الآحاد أو لا. مثال آية ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كيف تفسرها؟

الشيخ محمد/

أحاديث العبادات تم فيها مع السنة القولية النقل المتواتر أي تناقلتها الأمة ممارسة وتطبيق أي ليس الاحتكام فيها إلى السنة القولية فقط وإنما الاحتكام فيها إلى مثل: "صلوا كما رأيتموني أصلي".

مداخلة

وما الحال بالنسبة لباقي أحكام الشريعة؟ كيف تتعامل مع حد القذف أو الزنا أو السرقة وكيف تتعامل مع النصوص الشرعية؟

الشيخ محمد/

الأصل لدي المثبت بالقرآن لا تصورني الآن أنني أنكر السنة هذه الأحاديث التي وردت في ضوء القرآن ومؤكدة له على العين والرأس أما باسم الآحاد فهذا منهج قديم قاله عمر: "لا ندع كلام ربنا لقول امرأة لا ندري أحفظت أم نسيت".

مداخلة

ماذا يعني تحكيم أحاديث الآحاد في النصوص؟ فمثلا الحديث الذي نحن بصدده الخاص بالصحابة "وأينا لم يظلم نفسه الخاص" بآية ﴿وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحْسَبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ ما هي الجناية التي جناها هذا الحديث على هذه الآية؟

الشيخ محمد عوض

لم يحدث شيء لكن هناك أحاديث أخرى تحدث جنایات في القرآن. فسيقول أن الله - سبحانه وتعالى - قرر أن يحاسب الناس على ظواهرهم

وبواطنهم ثم شق عليهم ذلك فقال سنحاسبكم على الظاهر. فأنت الآن ستُحکم الحديث وتُستشهد به وتجعله قاعدة أصيلة للنسخ وبالتالي ستقول أن هناك آيات كانت في المصحف ونسخت تلاوة فنقول الآن متى يلجأ إلى القول بالنسخ أول شيء عند قيام التعارض وإذا كان هذا التعارض أمر نسبي، فيقول نثبتته بالسنة فأى سنة التي تعطل القرآن المتواتر فأنت الآن قلت أن هناك أربع مراحل في الخمر هل أنت مؤمن بأننا لو جئنا لبيئة مدمنة لكي نعالج هذه البيئة هل نعالجها بالتدرج الذي سلكه القرآن في ضرب هذه العادة التي كانت متجذرة عند العرب أم نخاطبهم رأساً برابع آية وأنت تقول أنه لا فرق بين الاثني ولكن هناك فرق شاسع لأننا لو قلنا بالنسخ لن نخاطبهم بـ ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ فلا نخاطبهم بالتدرج وإذا قلت بالنسخ فلن تطالبه إلا بالأمر الأخير فقط فالسنة الموافقة للقرآن على العين والرأس هنا نجد إشكالية كبيرة أن الاعتماد في السنة كان بنسبة كبيرة على السند لا بد مع السند الاحتكام إلى المتن والتمن لا بد أن لا يصادم القرآن في شيء فأنت لديك أحاديث صحيحة وآحاد تقول إن سورة الأحزاب نسخ منها أشياء.

### مداخلة

بالنسبة لآية البقرة هذه آية لا ينبغي عليها حكم فالدكتور محمد كان يتحدث على أن النسخ يكون في الأحكام أي رفع حكم بحكم والإتيان بحكم متأخر فرفع حكم متقدماً فلا يوجد أمر تشريعي والله أعلم.

وبارك الله فيكم.